التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي
كلية الآداب واللغات

محاضرات
في علوم القرآن الكريم

مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الأولى ليسانس LMD جذع مشترك لغة وأدب عربي

إعداد الدكتور: عبد العزيز مصباحي

السنة الجامعية

2021-2020

المحاضرة الأولى: تعريفات القرآن
أهمية القرآن الكريم وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ، وهو المعجزة الخالدة الأزلية التي لم تُخلق، كما ذهب إلى ذلك المعتزلة، ومن تبعهم.

وإن اختص الله تعالى الأنبياء بمعجزات كثيرة، فإن معجزة سيدنا محمد ﷺ هي القرآن الكريم، فلم يكن يحيي الموتى، ولا يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وإنما كانت معجزته أن منَّ الله عليه بالقرآن الكريم، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وهو مفتاح الجنة.

وقد ذكر مصطلح القرآن الكريم في القرآن بهذا اللفظ تسعا وستين مرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾[1]

فشهر رمضان شهر عظيم؛ لأن فيه نزل القرآن الكريم ليلةَ القدر التي هي عند الله تعالى خير من ألف شهر[2].

ومن المواضع التي ذكر فيها القرآن أيضا قوله ﷻ في سورة النساء : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [3].

ومن ذلك قوله أيضا: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ وَلَا يَزَالُ

---

[1] سورة البقرة: الآية: 108.

[2] يقول تعالى في ذلك: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ [سورة القدر: الآية 03].

[3] سورة النساء: الآية: 82.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[1].

وقد خاض العلماء في موضوع القرآن الكريم، وأكثروا الحديث فيه، لما له من قداسة في الدين الإسلامي، لأنه دستور المسلمين في حياتهم الدينية والدنيوية، يعتمدون عليه في مختلف العبادات، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، بالإضافة إلى المعاملات: كالزواج والبيع والصيد ... الخ. فالقرآن الكريم قد مسَّ جميع أضرب الحياة المجتمعية، لأنه صالح لكل زمان ومكان.

وسنحاول في هذه المحاضرة أن نشير إلى جملة من التعريفات التي قدّمت للقرآن الكريم، مع ذكر أغلب المرادفات لهذا التنزيل: الكتاب، الوحي، المعجزة، النبي... الخ، كما سنحاول أن نستجليَ أهمية القرآن الكريم وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية.

أولا: تعريفات القرآن.

1/ التعريف اللغوي:

ورد في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر أنَّ "الْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللفْظة الجمعُ. وكلُّ شَيْءٍ جَمَعْته فَقَدَ قَرَأْتَه. وسُمِّيَ القُرآن قُرْآناً لِأَنَّهُ جَمع القِصَص، والأمْر وَالنَّهي، والوعد وَالْوَعِيدَ، والآياتِ والسُّوَر بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَهُوَ مَصْدَرٌ كالغُفْران والكُفْران"[2].

يتبين لنا أن معنى الكلمة متأت من القراءة، كأنه صيغة مبالغة لهذا الفعل (القراءة). وَقَدْ يُطْلق عَلَى الصَّلَاةِ لأنَّ فِيهَا قِراءة، تَسْمِيةً لِلشَّيْءِ بِبَعْضِهِ، وَعَلَى القِراءة نفْسِها، يُقَالُ:

---

[1] سورة الرعد: الآية: 31.

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الصنهاجي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1979م. ج4، ص: 30.

قَرَأَ يَقْرَأُ قِراءة وقُرْآناً. وَالاِقْتِرَاءُ: افْتِعال مِنَ القِراءة، وَقَدْ تُحْذَفُ الْهَمْزَةُ مِنْهُ تخفيفا، فيقال: قُران"[1].

وهذا الذي نستخدمه اليوم في بعض اللهجات إن لم نقل أكثرها، حيث يقول الشيوخ والعجائز: القران العظيم، بتسهيل الهمز.

وذكر ابن منظور في "اللسان": " يُقَالُ: قَرَأَ يَقْرَأُ قِراءَةً وقُرآناً. والاقْتِراءُ: افتعالٌ مِنَ القِراءَة. قَالَ: وَقَدْ تُحذف الْهَمْزَةُ مِنْهُ تَخْفِيفًا، فَيُقَالُ: قُرانٌ، وقَرَيْتُ، وقارٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ التَّصْرِيفِ"[2].

وَفِي الْحَدِيثِ: "أَكثرُ مُنافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُها"[3]، أَي إنهم يَحْفَظونَ القُرآنَ نَفْياً للتُّهَمة عَنْ أَنفسهم، وَهُمْ مُعْتَقِدون تَضْيِيعَه، وكَانَ الْمُنَافِقُونَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ، ﷺ، بِهَذِهِ الصِّفَة. وقَارَأَه مُقارَأَةً وقِراءً، بِغَيْرِ هَاءٍ: دارَسه. واسْتَقْرَأَه: طَلَبَ إِلَيْهِ أَن يَقْرَأَ. ورُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: تَسَمَّعْتُ للقَرَأَةِ فإِذا هُمْ مُتَقارِئُون، حكاهُ اللِّحْيانِيّ وَلَمْ يُفَسِّرْهُ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَعِنْدِي أَنَّ الجنَّ كَانُوا يَرُومون القِراءَةَ"[4].

ب/ التعريف الاصطلاحي:

سبق وذكرنا أنَّ القرآن في اللغة: مصدر قرأ بمعني تلا، أو بمعني جمع، تقول قرأ قرءاً وقرآناً، كما تقول: غفر غَفْراً وغُفرانا، فعلى المعنى الأول (تلا) يكون مصدراً بمعني اسم المفعول، أي بمعني متلوّ، وعلى المعني الثاني: (جَمَعَ) يكون مصدراً بمعني اسم الفاعل، أي بمعني جامع لجمعه الأخبار والأحكام.

---

[1] المرجع السابق، ج4، ص: 30.

[2] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ ج1، ص: 129.

[3] الحديث في: مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ج11، ص: 210.

[4] لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص: 129.

والقرآن في الشرع: كلام الله تعالى المنزل على رسوله *وخاتم* أنبيائه محمد ﷺ ، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

وقد حمى الله تعالى هذا القرآن العظيم من التغيير والزيادة والنقص والتبديل، حيث تكفل عز وجل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]؛ ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه، أو يزيد، أو ينقص، أو يبدل، إلا هتك الله ستره، وفضح أمره[4].

والقرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء وبدين ختم به الأديان. وهو كلام الله العظيم وصراطه المستقيم ونظامه القويم، ناط به كل سعادة، هو رسالة الله الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة، نهل منه العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون والراكعون والساجدون، هو كتاب الإسلام في عقائده، وعباداته، وحكمه، وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه، ومواعظه، وعلومه، وأخباره، وهدايته، ودلالته، وهو أساس رسالة التوحيد، والرحمة المسداة للناس، والنور المبين، والمحجة البيضاء التي لا يزيع عنها إلا هالك[5].

---

[1] سورة الإنسان: الآية: 23.

[2] سورة يوسف: الآية: 02.

[3] سورة الحجر: الآية: 09.

[4] أصول في التفسير، محمد صالح بن صالح العثيمين، منشورات المكتبة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001م، ص: 06.

[5] دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، د.نا، ط12، 2003، ص: 47.

ثانيا: أهمية القرآن الكريم وعلومه في الدراسات اللغوية:

إن العلوم اللغوية، على كثرتها، ما هي إلا علوم وسائل، وليست غايات في حد ذاتها، فالنحو مثلا ليس غاية، بل يُراد به حفظ القرآن الكريم بالدرجة الأولى من زيغ الألسن، ثم حفظ الكلام المتداول بين مستعملي اللغة من الأخطاء غير المقبولة.

وكذلك الشأن بالنسبة للبلاغة العربية، لأن البدايات الأولى لها كانت من أجل دراسة وفهم القرآن الكريم والوصول إلى جوهر معناه، ألم ترَ أن البدايات الأولى للبلاغة كانت حول غريب القرآن الكريم، وكذلك مساءلات نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما، التي جُمعت فيما بعد في رسائل يمكن الاعتداد بها كأولى الإرهاصات لظهور البلاغة العربية.

وبالعودة إلى النحو فإن نجد أن نشأته مرتبطة ارتباطا وثيقا بهذا التنزيل الكريم.

وتروي كتب التراث أنه "قدم أَعْرَابِي فِي زمَان عمر فَقَالَ من يُقْرِئُنِي مِمَّا انْزِلْ الله على مُحَمَّد ﷺ فَأَقْرَأَهُ رجل سُورَة بَرَاءَة فَقَالَ: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1]، بِالْجَرِّ. فَقَالَ الْأَعرَابِي أَو قد برىء الله من رَسُوله إِن يكن الله قد برىء من رَسُوله فَأَنا أَبرأ مِنْهُ....

فَبلغ عمر مقَالَة الْأَعرَابِي فَدَعَاهُ فَقَالَ يَا أَعْرَابِي أَتَبرأ من رَسُول الله ﷺ قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِنِّي قدمت الْمُشْركين وَلَا علم لي بلأ فَسَأَلت من يُقْرِئُنِي فأقرأني هَذَا سُورَة بَرَاءَة فَقَالَ {أَن الله بَرِيء من الْمُشْركين وَرَسُوله} فَقلت أَو قد برىء الله من رَسُوله إِن يكن الله قد برىء من رَسُوله فَأَنا أَبرأ مِنْهُ فَقَالَ عمر لَيْسَ هَكَذَا يَا أَعْرَابِي قَالَ فَكيف هِيَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فَقَالَ {أَن الله بَرِيء من الْمُشْركين وَرَسُوله} فَقَالَ

[1] سورة التوبة: الآية: 03.

الْأَعرَابِي وَأَنا وَالله أَبرَأ مِمَّا برىء الله وَرَسُوله مِنْهُ فَأمر عمر بن الْخطاب أَلا يقرىء الْقُرْآن الا عَالم باللغة، وَأمر أَبَا الْأسود فَوضع النَّحْو"[1].

يظهر لنا من خلال هذا القول إلى أن النحو -بالأساس- إنما ظهر من أجل القرآن الكريم، وحفظه؛ لأن الله تعالى قد قطع عهدا بحفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

وليس غريبا أن تجد الطلبة والباحثين والأساتذة -على حد سواء- يهتمون بالقرآن الكريم، وينهالون عليه بالدراسة والبحث، بل إنَّ منهم من اكتشف أشياء جديدة لم تكن معروفة من قبلُ، وهذا ما يزيد من عظمة هذا النص المقدس، ويوجب احترامه.

ونقرأ في كثير من البحوث قصص من أسلمَ واعتنق الدين الإسلامي بسبب آية واحدة أو آيتين درسهما أو وصل إلى كنههما، على الرغم من أنه لا يدين بالإسلام.

ومن ذلك أن عالما من الكفار أراد أن يقلل من شأن القرآن الكريم، فبدأ يبحث فيه عن شيء به خطأ أو اضطراب معنوي أو علمي، فزعم أن الله تعالى – حاشاه جلّ شأنه- أخطأ حين وصف النمل بالتحطم، حين قال في سورة النمل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]. حيث قال إن مصطلح "يحطمنكم" مصطلح لا يصلح مع هذه الحشرات (النمل)؛ لأنها ليست زجاجا أو شيئا قابلا للكسر والتحطيم.

---

[1] سبب وضع علم العربية، جلال الدين السيوطي، تحق: مروان العطية، دار الهجرة، بيروت، لبنان/ دمشق، سوريا، ط1، 1988، ص: 31.

[2] سورة الحجر: الآية: 09.

[3] سورة النمل: الآية: 18.

ولكنه أسلم فيما بعدُ حين علم بأن النملة مخلوقة بنسبة كبيرة من مكونات زجاجية[1].

وبالمختصر يمكن أن نصل إلى أن القرآن الكريم هدف كل مسلم بالدرجة الأولى، وكل باحث عن حقيقة الخلق، ومختلف الحقائق الدنيوية والأخرى، فهو معين لا ينبض من الأسرار والمعجزات والحلول.

[1] للتوسع في ذلك ينظر: قصة الرجل الذي أسلم بسبب نملة.

https://www.storiesrealistic.com

تم التصفح يوم: 21 فيفري 2019م، سا: 10:06.

المحاضرة الثانية: تاريخ القرآن
نزول القرآن الكريم، بدايات الوحي، التنجيم.

يعد القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، التي نزلت على الأنبياء والرسل؛ وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي سلمَ من التحريف؛ لأن الله تعالى تعهّد -كما أسلفنا- بحفظه.

وسنحاول في هذه المحاضرة، وهي المحاضرة الثانية من سلسلة محاضرات مادة علوم القرآن الكريم أن نبحثَ تايخ نزول القرآن الكريم وبدايات الوحي، والحكمة من نزوله منجّما على خلاف الكتب السماوية الأخرى.

أولا: نزول القرآن الكريم:

1- معنى نزول القرآن:

جاء التعبير بمادة نزول القرآن وما تصرف منها في الكتاب والسنة ومن أمثلته قوله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1].

وقوله ﷺ: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"[2].

---

[1] سورة الإسراء: الآية: 105.

[2] تمام الحديث ما جاء في صحيح البخاري: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي: «أَرْسِلْهُ» ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ» ، فَقَرَأَ، قَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ» ، ثُمَّ قَالَ لِي: «اقْرَأْ» ، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ».

ينظر الحديث في: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج3، ص: 122.

لكن النزول في استعمال اللغة يطلق ويراد به الحلول في مكان والأوي به. ومنه قولهم نزل الأمير المدينة[1].

وهذا المعنى يدل أن القرآن إنما نَزَلَ على النبي ﷺ، وهذا -في اعتقاد صاحب النص- لا يليق بمقام القرآن الكريم، إذ يجب أن يتعدى المعنى معنى النزول العادي من مكان إلى آخر. وهذا ما يشير إليه في ما بعد.

يقول: "والمتعدي منه [أي من الفعل: نزل]، هو الإنزال يكون معناه إحلال الغير في مكان وإيواؤه به. ومنه قوله جل ذكره: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [2].

ويطلق النزول إطلاقا آخر في اللغة على انحدار الشيء من علو إلى سفل نحو نزل فلان من الجبل. والمتعدي منه يكون معناه تحريك الشيء من علو إلى سفل ومنه قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [3].

ويضيف: "ولا ريب أن كلا هذين المعنيين لا يليق إرادته هنا في إنزال الله للقرآن ولا في نزول القرآن من الله لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية. والقرآن ليس جسما حتى يحل في مكان أو ينحدر من علو إلى سفل سواء أردنا به الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الغيبية الأزلية أم أردنا به نفس تلك الكلمات أم أردنا به اللفظ المعجز لما علمت من تنزه الصفة القديمة ومتعلقها وهو الكلمات الغيبية عن الحوادث وأعراض الحوادث ولما تعرفه من أن الألفاظ أعراض سيالة تنقضي بمجرد النطق بها كما يقولون"[4].

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ط3، ج1، ص: 42.

[2] سورة المؤمنون: الآية: 29.

[3] سورة النحل: الآية: 10.

[4] مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 41.

فإنزاله: الإعلام به بواسطة ما يدل عليه من النقوش بالنسبة لإنزاله في اللوح المحفوظ وفي بيت العزة من السماء الدنيا وبواسطة ما يدل عليه من الألفاظ الحقيقية بالنسبة لإنزاله على قلب النبي ﷺ والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي اللزوم لأن إنزال شيء إلى شيء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به إن كان عاقلا ويستلزم إعلام من يطلع عليه من الخلق به مطلقا وإذن فالمجاز مرسل[1].

2- مراحل نزول القرآن الكريم:

شرف الله هذا القرآن بأن جعل له ثلاثة تنزلات:

أ- التنزل الأول إلى اللوح المحفوظ:

ودليله قول سبحانه: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾.[2]، وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه. وكان جملة لا مفرقا لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق ولا صارف عنه. ولأن أسرار تنجيم القرآن على النبي ﷺ لا يعقل تحققها في هذا التنزل[3].

وحكمة هذا النزول ترجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح نفسه وإقامته سجلا جامعا لكل ما قضى الله وقدر وكل ما كان وما يكون من عوالم الإيجاد والتكوين. فهو شاهد ناطق ومظهر من أروع المظاهر الدالة على عظمة الله وعلمه وإرادته وحكمته وواسع سلطانه وقدرته.

ولا ريب أن الإيمان به يقوي إيمان العبد بربه من هذه النواحي ويبعث الطمأنينة إلى نفسه والثقة بكل ما يظهره الله لخلقه من ألوان هدايته وشرائعه وكتبه وسائر أقضيته وشؤونه في عباده كما يحمل الناس على السكون والرضا تحت سلطان القدر والقضاء ومن هنا تهون عليهم الحياة بضرائها وسرائها كما قال جل شأنه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

---

[1] المرجع السابق، ج1، ص: 41.

[2] سورة البروج: الآيتان: 21-22.

[3] مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 43.

يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1].

وللإيمان باللوح وبالكتابة فيه أثر صالح في استقامة المؤمن على الجادة وتفانيه في طاعة الله ومراضيه وبعده عن مساخطه ومعاصيه لاعتقاده أنها مسطورة عند الله في لوحه.

ب- التنزل الثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا:

والدليل عليه قوله سبحانه في سورة الدخان: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[2]. وفي سورة القدر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[3] .

وكذلك في سورة البقرة: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [4].

دلّت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة أخذا من آية الدخان وتسمى ليلة القدر أخذا من آية سورة القدر، وهي من ليالي شهر رمضان أخذا من آية البقرة. وإنما قلنا ذلك جمعا بين هذه النصوص في العمل بها ودفعا للتعارض فيما بينها[5].

ومعلوم بالأدلة القاطعة أن القرآن أنزل على النبي ﷺ مفرقا لا في ليلة واحدة بل في مدى سنين عددا، فتعيّنَ أن يكون هذا النزول الذي نوهت به هذه الآيات الثلاث نزولا آخر غير النزول على النبي ﷺ[6].

---

[1] سورة الحديد: الآيتان: 22-23.

[2] سورة الدخان: الآية: 03.

[3] سورة القدر: الآية: 01.

[4] سورة البقرة: الآية: 185.

[5] مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 44.

[6] المرجع نفسه، ج1، ص: 44.

وهذا ما يرجّح الرأي القائل باختلاف تنزلات القرآن الكريم.

ج - التنزل الثالث للقرآن على النبي ﷺ [1]:

هذا هو واسطة عقد التنزلات لأنه المرحلة الأخيرة التي منها شعّ النور على العالم ووصلت هداية الله إلى الخلق وكان هذا النزول بوساطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي ﷺ. ودليله قول الله تعالى في سورة الشعراء مخاطبا لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[2].

ونزل القرآن الكريم على النبي ﷺ عن طريق الوحي، كما تقدم؛ لذا وجب علينا أن نعرّج على مفهوم الوحي، وذكر كيفيته.

ثانيا: الوحي:

1- لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "(وَحَى) الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِلْقَاءِ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى غَيْرِكَ. فَالْوَحْيُ: الْإِشَارَةُ. وَالْوَحْيُ: الْكِتَابُ وَالرِّسَالَةُ. وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى عَلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ. وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى وَوَحَى"[3].

وجاء في التاج: "والوَحْيُ الإشارَةُ. يقالُ: وَحَيْتُ لكَ بخَبرِ كَذَا: أَي أَشَرْتُ، وصَوَّتُّ بِهِ رُوَيْداً، نقلَهُ الجَوْهرِي. وَقَالَ الرَّاغبُ: [الوحي]: الإشارَةُ السَّرِيعَةُ، وأَنْشَدَ الجَوْهرِي للعجّاج: رجز

حَتَّى نَحَاهُمْ جَدُّنا والنَّاحِي ۞ لقَدَرٍ كانَ وحَاه الوَاحِي[4].

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 47.

[2] سورة الشعراء: الآيتان: 193، 194.

[3] مقاييس اللغة، ابن فارس، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1979م، ج6، ص: 93.

[4] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الزبيدي، دار الهداية، القاهرة، مصر، ص: 169.

ويقال: وحيت إليه وأوحيت: إذا كلّمته بما تخفيه عن غيره، والوحي: الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد، وبإشارة ببعض الجوارح[1].

والوحي مصدر، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين، هما: الخفاء والسرعة، ولذا قيل في معناه: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجَّه إليه بحيث يخفى على غيره، وهذا معنى المصدر، ويُطلق ويُراد به الوحي، أي بمعنى اسم المفعول. والوحي بمعناه اللغوي يتناول[2]:

أ- الإلهام الفطري للإنسان:

كالوحي إلى أُم موسى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3].

ب- الإلهام الغريزي للحيوان:

كالوحي إلى النحل، في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[4].

ج- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء:

كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[5].

---

[1] مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 2000م، ص: 28.

[2] المرجع نفسه، ص: 28.

[3] سورة القصص: الآية: 07.

[4] سورة النحل: الآية: 68.

[5] سورة مريم: الآية: 11.

د- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان:

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [1]، وقوله أيضا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [2].

هـ- ما يُلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه:

ومن أمثلته قوله سبحانه: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [3].

2- اصطلاحا:

الوحي بالمعنى المصدري اصطلاحًا: هو إعلام الله تعالى مَن يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفية سريعة.

وعرَّفه الأستاذ "محمد عبده" في رسالة التوحيد بأنه: "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قِبَلِ الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت"[4]. ويُفَرَّقُ بينه وبين الإلهام بأن الإلهام: وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يُطلب على غير شعور منها من أين أتى؟ وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور"1.

وهو تعريف للوحي بالمعنى المصدري، وبدايته وإن كانت توهم شبهه بحديث النفس أو الكشف، إلا أن الفرق بينه وبين الإلهام الذي جاء في عجز التعريف ينفي هذا"[5].

---

[1] سورة الأنعام: الآية: 121.

[2] سورة الأنعام: الآية: 112.

[3] سورة الأنفال: الآية: 12.

[4] مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مرجع سابق، ص: 29.

[5] المرجع نفسه، ص: 30.

2- كيفية نزول الوحي على النبي ﷺ :

يكون وحي الله إلى أنبيائه إما بغير واسطة، وكان منه الرؤيا الصالحة في المنام، والكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة، وإما أن يكون بواسطة مَلَك الوحي، ولا تخلو كيفية وحي المَلَكِ إلى الرسول من إحدى حالتين:

- الحالة الأولى:

وهي أشد على الرسول، أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، والصوت القوي يثير عوامل الانتباه فتُهَيّأ النفس بكل قواها لقبول أثره، فإذا نزل الوحي بهذه الصورة على الرسول ﷺ نزل عليه، وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه.

وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة، وقد يكون صوت المَلَكِ نفسه في أول سماع الرسول له.

- الحالة الثانية:

أن يتمثل له المَلَكُ رجلًا، ويأتيه في صورة بشر، وكان كثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي[1]. وهذه الحالة أخف من سابقتها، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع، ويأنس رسول النبوَّة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه اطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان[2].

ثالثا: نزول القرآن منجما:

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ منجّما، ومعنى ذلك أنه نزل مفرّقا، وهذا التنزل الذي نقصده هنا هو التنزل الثالث، بعد التَّنَزُّلَيْن الأول والثاني.

وقد نزل القرآن مُنَجّمًا في ثلاث وعشرين سنة؛ منها ثلاث عشرة، بمكة على الرأي الراجح، وعشر بالمدينة، وجاء التصريح بنزوله مفرَّقًا في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ

[1] نزول القران الكريم وتاريخه وما يتعلق به، محمد عمر حويه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت، ص: 26.

[2] مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مرجع سابق ، ص: 37.

لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[1]. أي جعلنا نزوله مفرقًا؛ كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزَّلناه تنزيلًا بحسب الوقائع والأحداث.

أما الكتب السماوية الأخرى -كالتوراة والإنجيل والزبور- فكان نزولها جملة، ولم تنزل مفرقة، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[2]، فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية السابقة نزلت جملة، وهو ما عليه جمهور العلماء، ولو كان نزولها مفرقًا لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن مُنَجَّمًا، فمعنى قولهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾: هَلَّا أُنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب؟ وماله أُنزل على التَّنْجِيم؟ ولمَ أُنزل مفرقًا؟[3].

والذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات في أول المؤمنين جملة، وصح نزول: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾ [4] وحدها وهي بعض آية[5].

وقد يدل هذا أن النزول كان مرتبطا بمناسبات، وظروف معينة توجبُه؛ إذ الحكمة في نزوله حسب ما تدعو الحاجة إليه، وذلك ليزداد ثباته في قلب النبي ﷺ والصحابة والمؤمنين والتابعين من بعده.

ويمكن أن نجمل الحكمة من نزول القرآن الكريم منجما في ما يأتي[6]:

---

[1] مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مرجع سابق ، ص: 106.

[2] سورة الفرقان: الآية: 32.

[3] مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 106.

[4] سورة النساء: الآية: 95.

[5] مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 107.

[6] نزول القرآن والعناية به في عهد النبي ﷺ، عبد الودود مقبول حنيف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت، ص ص: 14- 16.

1- تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتطييب قلبه وخاطره، وإمداده بأسباب القوة والمجابهة أمام حملات المشركين ودسائس المنافقين، فتجديد الوحي يوماً بعد يوم وحالاً بعد حال يمثل لوناً من ألوان الرعاية الإلهية التي تمده بأسباب الثبات والْمُضِيّ فيما اختاره الله تعالى له. وكان للنزول المفرق أبلغ الأثر في مواساته وإزاحة معاني الغربة والضعف عن نفسه، وقد ثبت الله فؤاد المصطفى عليه الصلاة والسلام في أشد المواقف وأحرجها، فانظر إلى قول أبي بكر فيما حكاه عنه الله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1]، وما ذلك إلا من قوة يقينه ووثوقه بنصر الله تعالى مع ما يحيط به من الأعداء.

2- تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم من قصص الأنبياء السابقين ومعاناتهم من أقوامهم وكيف أن الغلبة والنصر والأجر والتأييد والتمكين كانت لهم ولعباد الله الصالحين في نهاية الأمر، وكانت الهزيمة لأعداء الله المخالفين.

3- تيسير حفظه وفهمه على الرسول ﷺ، فإنه كان يتعجل الأخذ من الوحي، ولقد بلغ من حرص النبي ﷺ أنه كان لا ينتظر حتى يفرغ جبريل من قراءته بل كان يتعجل بالقراءة فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2]، فتكفل الله لنبيه الحفظ والفهم.

4- تيسير حفظه وفهمه وتدبر معانيه، ومعرفة أحكامه وحِكَمه على الأمة، وكما هو معلوم أن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة.

5- ترتيل القرآن الكريم كما ينبغي بالصورة الصحيحة التي نزل عليها. فالرسول ﷺ كان يتلقى القرآن من الوحي عن رب العزة والجلال، فنحن بقراءتنا وترتيلنا إن أحكمناه إنما نتبع ما علم الله نبيه من ترتيل محكم جاء به التنزيل وأُمِر به النبي ﷺ.

---

[1] سورة التوبة: الآية: 40.

[2] سورة القيامة: الآيات: 16-19.

6- رسم صورة المجتمع الآخَر أو الفئات الثانية من المشركين والمنافقين، وفضح أساليبهم ونواياهم ومفاجأتهم بحقيقة ما يقولون ويُبيِّتُون ويمكرون.

7- التحدي والإعجاز وهو ظاهر وواضح في كل مرحلة من مراحل نزوله مفرقاً فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بالقرآن فلم يستطيعوا، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، وتحداهم أن يأتوا بحديث مثله فلم يستطيعوا، وأتاح لجميع المشركين والمعارضين الدخول في معركة التحدي فلم يفلحوا[1].

8- التدرج في التشريع، ومسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها فكانت تحدث حوادث لم يكن لها حكم معروف في الشريعة الإسلامية فيحتاج المسلمون إلى معرفة ذلك فتنزل الآية من الله تبارك وتعالى لحكم تلك الحوادث.

9- تاسعاً: بيان بلاغة القرآن الكريم فقد نزل مفرقاً في ثلاثة وعشرين عاماً، وكلما نزلت آية أو آيات قال لهم الرسول ﷺ: (ضعوا هذه الآيات في موضع كذا من سورة كذا) ومع ذلك فهو مترابط في الألفاظ والمعاني، حسن التنسيق، محكم النسج، دقيق السبك، متناسق الآيات والسور، متين الأسلوب، قوي الاتصال، لا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك كأنه عِقْدٌ فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في كلام البشر[2].

هذه بعض الحكم من نزول القرآن منجما، وهي أهمها، وهذا الكلام لا يعني أنه لا توجد حكم أخرى، فإن بعضهم زاد على هذه، ويمكن للطلبة أن يبحثوا ذلك في كتب علوم القرآن الكريم.

---

[1] نزول القرآن والعناية به في عهد النبي ﷺ، عبد الودود مقبول حنيف، مرجع سابق: ص: 21.

[2] المرجع نفسه: ص: 25.

المحاضرة الثالثة: مراحل جمع القرآن الكريم
معايير ترتيب سور وآيات القرآن الكريم

نروم في هذه المحاضرة أن نبحث مراحل جمع القرآن الكريم، ونشير أيضا إلى الأسس التي تم على إثرها ترتيب سور القرآن الكريم وآياته.

أولا: مراحل جمع القرآن الكريم:

1. معنى "جمع القرآن" لغة:

الجَمْع: مصدر الفعل "جَمَع"، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعاً.

قال الجوهري: "جمعت الشيء المتفرق فاجتمع. والرجلُ المُجْتَمِعُ: الذي بلغ أشُدَّهُ. ولا يقال ذلك للنساء. ويقال للجارية إذا شبت: قد جمعت الثياب، أي قد لبست الدرعَ والخمارَ والملحفةَ. وتَجَمَّعَ القومُ، أي اجتمعوا من ههنا وههنا. وجُمَّاعُ الناس بالضم: أَخْلاطُهُمْ، وهم الأُشَابَةُ من قبائل شتى... والجمع: مصدر قولك جمعت الشيء. وقد يكون اسماً لجماعة الناس، ويُجْمَعُ على جموع، والموضع مجمع ومجمع "[1].

وقال ابن منظور : " جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع واجْدَمَعَ، وَهِيَ مُضَارَعَةٌ، وَكَذَلِكَ تجَمَّع واسْتجمع. وَالْمَجْمُوعُ: الَّذِي جُمع مِنْ هاهنا وهاهنا وإِن لَمْ يُجْعَلْ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ. واسْتجمع السيلُ: اجْتَمَعَ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ. وجَمَعْتُ الشَّيْءَ إِذا جِئْتَ بِهِ من هاهنا وهاهنا. وتجَمَّع الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيضاً من هاهنا وهاهنا. ومُتجمَّع البَيْداءِ: مُعْظَمُها ومُحْتَفَلُها"[2]

وجاء في القاموس المحيط أنَّ: "المَجْموعُ: ما جُمِعَ من هَاهُنا وهَاهُنا وإن لم يُجْعَلْ كالشيءِ الواحِدِ. والجَمِيعُ: ضِدُّ المُتَفَرِّقِ"[3].

---

[1] الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لكتاب: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1987م. ج3، ص: 1199.

[2] لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414 هـ، ج8، ص: 53.

[3] القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، تحق: محمد نعيم العرقسُوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص: 710.

يلاحظ في هذه المعاني أن اشتقاق كلمة "جَمع" تدل على الجمع والاجتماع والتأليف، وضم المتفرق فجمع الشيء استقصاؤه والإحاطة به.

2. جمع القرآن اصطلاحا:

كلمة جمع القرآن تطلق تارة على حفظه واستظهاره في الصدور. وتطلق تارة أخرى على كتابته كله حروفا وكلمات وآيات وسورا. هذا جمع في الصحائف والسطور وذاك جمع في القلوب والصدور[1].

معنى هذا الكلام أن جمع القرآن يشير إلى معنيين اثنين: الأول هو الحفظ، والثاني هو التدوين.

- المعنى الأول:

جمعه بمعنى حفظه، وجُمَّاعُ القُرْآن: حُفَّاظُهُ[2]، وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى في خطابه لنبيه -ﷺ- وقد كان يحرّك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي حرصًا على أن يحفظه، حيث يقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[3].

وجاء في صحيح البخاري: "حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[4]. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

[1] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مرجع سابق، ص: 239. وجاء أيضا: "يطلق جمع القرآن تارة على حفظه في الصدور وتارة على كتابته". ينظر أيضا: تاريخ القرآن الكريم، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي الخطاط، منشورات مصطفى محمد يغمور، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1946م. ص: 20.

[2] ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مرجع سابق، ص: 119.

[3] سورة القيامة: الآيات: 16-19.

[4] سورة القيامة: الآية: 16.

يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1] قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[2] قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[3]، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ[4].

جاء في مناهل العرفان: "نزل القرآن على النبي ﷺ، فكانت همته بادئ ذي بدء منصرفة إلى أن يحفظه ويستظهره ثم يقرأه على الناس على مكث ليحفظوه ويستظهروه....

وكذلك كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن وهي متمتعة بخصائص العروبة الكاملة التي منها سرعة الحفظ وسيلان الأذهان حتى كانت قلوبهم أناجيلهم وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم وحوافظهم دواوين أشعارهم ومفاخرهم. ثم جاء القرآن فبهرهم بقوة بيانه وأخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه وأستأثر بكريم مواهبهم في لفظه ومعناه فخلعوا عليه حياتهم حين علموا أنه روح الحياة.

أما النبي ﷺ فبلغ من حرصه على استظهار القرآن وحفظه أنه كان يحرك لسانه فيه في أشد حالات حرجه وشدته وهو يعاني ما يعانيه من الوحي وسطوته وجبريل في هبوطه عليه بقوته. يفعل الرسول كل ذلك استعجالا لحفظه وجمعه في قلبه مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف"[5].

---

[1] سورة القيامة: الآيتان: 16، 17.

[2] سورة القيامة: الآية: 18.

[3] سورة القيامة: الآية: 19.

[4] الحديث رقم 05 من صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، ج1، ص: 08.

[5] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرقاني، مرجع سابق، ص: 240.

ومعنى هذا الكلام أم حفظ القرآن الكريم في الصدور كان مبتغى الأمة الإسلامية جمعاء، وليس النبي ﷺ فقط، ولكن حرص النبي على ذلك كان أشدَّ وأقوى، بحكم أن الله كرّمه -دون غيره- بنزول الوحي عليه.

ومن شدة حرصه على حفظه، فقد كان ﷺ "جامع القرآن في قلبه الشريف وسيد الحفاظ في عصره المنيف. ومرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القرآن وعلوم القرآن.

وكان ﷺ يقرؤه على الناس على مكث كما أمره مولاه وكان يحيي به الليل ويزين الصلاة"[1].

وكما اعتنى نبي الله محمدٌّ ﷺ بحفظ القرآن الكريم، فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد حذوا حذوه في ذلك، بل إنهم كانوا يتفاخرون فيما بينهم أيهم أحفظ له، ليس فخرا، بل شرفا وتقربا إلى الله تعالى، فبلغ بهم الأمر إلى حد جعل تحفيظ سورة من القرآن الكريم مهرا للمرأة.

يقول محمد عبد العظيم الزرقاني: "أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم. يتنافسون في استظهاره وحفظه. ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه. ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه. وربما كانت قرة عين السيدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها. وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود إيثارا للذة القيام به في الليل والتلاوة له في الأسحار والصلاة به والناس نيام حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق الدجى يسمع فيها دويا كدوي النحل بالقرآن وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل يبلغهم ما أنزل إليه من ربه. ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمهم ويقرئهم"[2].

---

[1] المرجع السابق، ص: 241.

[2] المرجع نفسه، ص: 241.

وقد حَفِظَ القرآن الكريم كله في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- كثير من أصحابه، واشتهر بالحفظ منهم عدد؛ لكثرة تلاوتهم له، والتصدي لتعليمه وتفسيره، وجمعه في كتبهم، وغير ذلك من أسباب الشهرة الطيبة.

والعجب كل العجب أن تجد المصاحف اليوم مهجورة من المسلمين، قراءة لا حفظا، فمن الناس من تجد العنكبوت قد نسجت خيوطها على المصحف ببيته، وهذا دليل على هجر القرآن الكريم، ولعل في ذلك سخطاً كبيرا من الله ﷻ ، وهو القائل: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [1]. يقول أبو إسحاق الزجاج: "... مَهْجُوراً متروكاً، أي جعلوه مَهْجُوراً لاَ يَسْتَمِعُونَه ولا يتفهَّمُونَهُ"[2]، نسأل الله السلامة.

- المعنى الثاني:

وهو جمع القرآن بمعنى كتابته، وقد مرَّ بثلاث مراحل في ثلاثة عهود في الصدر الأول، أولها عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وثانيها عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وثالثها عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وسنتحدث عن هذه المراحل:

أ- جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ :

حرص رسول الله ﷺ على القرآن الكريم أشد حرص، فقد أمر بتدوين آياته الكريمة احتياطا. ويدل على ذلك "اتخاذه ﷺ كتابا للوحي؛ كلما نزل شيء من القرآن، أمرهم بكتابته مبالغة في تسجيله وتقييده. وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ"[3].

وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد ابن الوليد وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن

---

[1] سورة الفرقان: الآية: 30.

[2] معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج4، ص: 66.

[3] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ص: 246.

قيس وغيرهم. وكان صلى الله عليه وسلم يدلهم على موضع المكتوب من سورته. ويكتبونه فيما يسهل عليهم[1].

فقد اتخذوا العُسُب: بضم العين والسين، وهو جمع "عسيب"، ويطلق في اللغة على جريد النخل، وكذلك كتبوا على اللخاف- بكسر اللام- جمع لَخْفة بفتح اللام وسكون الخاء، وهي الحجارة الرقيقة. وكتبوا على الرقاع والجلود والعظام، وكل ما أمكن لهم الكتابة عليه حينئذ. ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ .

وهكذا انقضى العهد النبوي السعيد والقرآن مجموع على هذا النمط، لكنه لم يكتب في صحف ولا في مصاحف.

أما الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كان منهم من يكتبون القرآن ولكن فيما تيسر لهم من قرطاس أو كتف أو عظم أو نحو ذلك بالمقدار الذي يبلغ الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يلتزموا توالي السور وترتيبها وذلك لأن أحدهم كان إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ثم خرج في سرية مثلا فنزلت في وقت غيابه سورة فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ثم يستدرك ما كان قد فاته في غيابه فيجمعه ويتتبعه على حسب ما يسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير بسبب ذلك. وقد كان من الصحابة من يعتمد على حفظه فلا يكتب جريا على عادة العرب في حفظ أنسابها واستظهار مفاخرها وأشعارها من غير كتابة[2].

وخلاصة القول في هذا أن القرآن الكريم قد كُتب في عهد النبي ﷺ بطلب منه، من لدن كتاب الوحي، كما كتب أيضا من طرف الصحابة طوعا من عند أنفسهم على ما توفر لديهم من عظم أو كتف أو نحوهما. ولم يُجمع في مصحف مستقل، كما أن سوره لم ترَتب.

---

[1] المرجع السابق، ص: 246.

[2] المرجع نفسه، ص: 248.

ب- جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه :

لما تولى أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- الخلافة، بعد وفاة رسول الله صلى الله عيه وسلم ارتدَّت بعض القبائل العربية؛ ممن دخلت الإسلامَ حديثًا، وامتنع بعضها عن دفع الزكاة، فجهز الجيوش لمحاربة المرتدين، ووجه خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في جيش كبير إلى اليمامة - قوم مسيلمة الكذاب - وذلك سنة اثنتي عشرة للهجرة، فدارت معركة حامية الوطيس، انتهت بقتل مسيلمة، وهزيمة قومه، وعودة من سلم منهم إلى الإسلام. كما استشهد فيها عدد كبير من الصحابة قدروا بخمسمائة، وقيل ستمائة وستون، وقيل سبعمائة.

وكان من بين هؤلاء سبعون قارئاً، منهم سالم مولى أبي حذيفة -أحد الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم- وقد هال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشعر خطورة الأمر بذهاب شيء من القرآن بموت بعض القراء والحفظة من الصحابة، ففزع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن الكريم، وكتابته في مصحف واحد بدلاً من وجوده متفرقاً في صحف متعددة[1].

وفي هذا الأمر يروي لنا البخاري: "ثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الوَحْيَ - قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ فِي المَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ القُرْآنَ "، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لاَ

[1] جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة،علي بن سليمان العبيد، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت، ص: 31.

يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ، «كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ، وَالعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] إِلَى آخِرِهِمَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا القُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ"[2]، ثم حفصة ابنته رضي الله عنهما.

ويدل هذا الحديث على مدى العناية والاهتمام من الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم. فكان حفظ القرآن الكريم شعاراً لهم في وقعة اليمامة، حيث كانوا يتنادون به، ويشجعون أنفسهم أمام قوة عدوهم بعبارات تدل على حفظهم للقرآن الكريم[3].

- سمات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق[4]:

اتسم جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق بعدة سمات، من أبرزها:

- أن كتابته قامت على أدق وسائل التثبت والاستيثاق، فلم يقبل فيه إلاّ ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.
- أنه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.
- موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة.

---

[1] سورة التوبة: الآية: 128.

[2] ينظر الحديث رقم: 4679، في صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، ج6، ص: 71.

[3] ينظر: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة،علي بن سليمان العبيد، مرجع سابق، ص: 32.

[4] المرجع نفسه، ص: 39، 40.

- اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.
- اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة.
- إجماع الصحابة على صحته ودقته، وعلى سلامته من الزيادة والنقصان، وتلقيهم له بالقبول والعناية.

ج- جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه :

عندما جمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه القرآن الكريم كان الهدف الأساس منه كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور، ولم يكن من أهدافه القضاء على المصاحف الخاصة التي جمع فيها بعض الصحابة القرآن الكريم لأنفسهم والتي تضم بعض التفسيرات والأدعية والمأثورات ونحوها، وهم يعلمون أنها ليست من القرآن، أو تركوا تدوين سورة وهم يعلمون أنها من القرآن.

فتعدد المصاحف الخاصة بجوار مصحف أبي بكر، وانتشار القراء في الأمصار نتيجة اتساع الفتوحات الإسلامية، وأخذ كل مصر القراءة ممن وفد إليه من الصحابة، حيث كان كل صحابي يُعَلِّم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة التي نزلت على رسول الله صلى الله عيه وسلم. أقول: إن ذلك تسبب في تعدد القراءات واختلاف القراء. فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب رضي الله عنه. وأهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وغيرهم يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءات، فكان إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجود هذا الاختلاف حتى كاد الأمر يصل إلى النزاع والشقاق بينهم وإنكار بعضهم على بعض وبخاصة من الذين لم يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة القراءات القرآنية[1].

وقد وردت هذه القصة في كتاب المصاحف، إذ ورد عنه: "حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ

[1] المرجع السابق، ص: 43.

قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، وَالْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، فَجَعَلَ الْغِلْمَانُ يَلْتَقُونَ فَيَخْتَلِفُونَ حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ قَالَ أَيُّوبُ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: حَتَّى كَفَرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنَ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَأَشَدُّ لَحْنًا، اجْتَمِعُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَاكْتُبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا»[1]. وهكذا جاءت فكرة جمع القرآن الكريم في مصحف واحد.

شرع عثمان في تجسيد هذه الفكرة أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من خيرة الصحابة وثقاة الحفاظ وهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وهؤلاء الثلاثة الأخيرون من قريش.

وأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر فبعثت إليه بالصحف التي عندها وهي الصحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر رضي الله عنه. وأخذت لجنة الأربعة هؤلاء في نسخها وجاء في بعض الروايات أن الذين ندبوا لنسخ المصاحف كانوا اثني عشر رجلا. وما كانوا يكتبون شيئا إلا بعد أن يعرض على الصحابة ويقروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على هذا النحو الذي نجده الآن في المصاحف[2].

وهذا ما يثبته نص الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: "عَنْ أَنَسٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي القراء وقال حذيفة لِعُثْمَانَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا الصُّحُفَ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا إِلَيْهِ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ

---

[1] كتاب المصاحف، أبو بكر بن أبي داود، تحق: محمد بن عبده، منشورات الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص: 95.

[2] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مرجع سابق، ج1، ص: 257.

فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ قَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ فِي كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ"[1].

ونستطيع مما سبق أن نفرق بين مرات جمع القرآن في عهوده الثلاثة: عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وعهد عثمان رضي الله عنهما[2].

فالجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها ولكن مع بعثرة الكتابة وتفرقها بين عسب وعظام وحجارة ورقاع ونحو ذلك حسبما تتيسر أدوات الكتابة وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثق للقرآن وإن كان التعويل أيامئذ كان على الحفظ والاستظهار.

أما الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في صحف مرتب الآيات أيضا مقتصرا فيه على ما لم تنسخ تلاوته مستوثقا له بالتواتر والإجماع. وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعا مرتبا خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفاظه.

وأما الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل ما في تلك الصحف في مصحف واحد إمام واستنساخ مصاحف منه ترسل إلى الآفاق الإسلامية ملاحظا فيها تلك المزايا السالف ذكرها مع ترتيب سوره وآياته جميعا. وكان الغرض منه إطفاء الفتنة التي اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل.

---

[1] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ط1، 1957م، ج1، ص: 236.

[2] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مرجع سابق، ص: 263.

ثانيا: معايير ترتيب سور وآيات القرآن الكريم (وقفية أم اجتهادية):

اختلفوا في ترتيب السور على ثلاثة أقوال:

1- القول الأول:

أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن لم يكن بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، إنما كان باجتهاد من الصحابة. وينسب هذا القول إلى جمهور العلماء منهم مالك والقاضي أبو بكر فيما اعتمده من قوليه. وإلى هذا المذهب يشير ابن فارس في كتاب المسائل الخمس بقوله: جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة رضي الله عنهم. وأما الجمع الآخر وهو الآيات في السور فذلك شيء تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل[1].

وقد استدلوا على رأيهما هذا بأمرين:

أحدهما أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان، فلو كان هذا الترتيب توقيفيا منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ساغ لهم أن يهملوه، ويتجازوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره لنا الروايات. فهذا مصحف أبي بن كعب روي أنه كان مبدوءا بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام. وهذا مصحف ابن مسعود كان مبدوءا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران الخ على اختلاف شديد. وهذا مصحف علي كان مرتبا على النزول فأوله اقرأ ثم المدثر ثم ق ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني.

أما **الثاني** ما أخرجه ابن أشته في المصاحف من طريق إسماعيل بن عباس عن حبان بن يحيى عن أبي محمد القرشي قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال فجعل سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم، ولعله يشير بهذا إلى ما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرقاني، مرجع سابق، ج1، ص: 353.

عباس قال: قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا أنزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول: " ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا". وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا. وكانت قصتها شبيهة بقصتها. فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما. ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال.

2- القول الثاني:

أن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم كترتيب الآيات وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه صلى الله عليه وسلم. واستدل أصحاب هذا الرأي بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد. وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم. لكنهم لم يتمسكوا بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعا. ثم ساقوا روايات لمذهبهم كأدلة يستند إليها الإجماع[1].

3- القول الثالث:

أن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة وقد ذهب إلى هذا الرأي فطاحل من العلماء. ولعله أمثل الآراء لأنه وردت أحاديث تفيد ترتيب البعض كما مر بك من الرأي الثاني القائل بالتوقيف وخلا البعض الآخر مما يفيد التوقيف. بل وردت آثار تصرح

[1] المرجع السابق، ج1، ص: 354.

بأن الترتيب في البعض كان عن اجتهاد كالحديث الآنف في القول الأول المروي عن ابن عباس[1].

ولم نشأ أن نخوض في تفصيل تلك الأقوال وسرد أدلتها والتعقيب عليها قصدا، لأنّ هذه المطبوعة موجهة لطلبة السنة أولى ليسانس، فالغاية المرجوة منهم أن يتلقوا أبجديات المحاضرات، ويفتحوا مغاليقها، لا أن يتعمقوا فيها بالبحث والدرس؛ كما هو الشأن مع طلبة الدراسات العليا أو الطلبة المتخصصين في العلوم الإسلامية والشرعية.

[1] المرجع نفسه، ج1، ص: 356.

المحاضرة الرابعة: مكونات النص القرآني
اللفظة، العبارة، الآية، السورة

سنقوم في هذه المحاضرة بتعريف مكونات النص القرآني، وهي مصطلحات مخصوصة؛ اللفظة أو الكلمة أو المفردة؛ العبارة؛ الآية؛ السورة.

أولا: تعريف اللفظة:

جاء في معجم "العين" أنّ: " اللّفْظُ: الكلام ما يُلفَظُ بشيءٍ الاّ حُفِظَ عليه. واللَّفْظُ: أن تَرمِيَ بشيءٍ كانَ في فيكَ، والفعلُ لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظًا. والأَرض تَلْفِظُ المَيّتَ أي ترمي به، والبحر يَلفِظُ الشَّيْءَ يرمي به إلى الساحِلِ، والدُّنيا لافِظةٌ تَرمي بمَن فيها إلى الآخرة."[1].

وورد في أساس البلاغة: "ولفظ اللقمة من فيه. ورمى باللفاظة وهي ما يلفظ. ومن المجاز: لفظ القول ولفظ به، "ما يلفظ من قول"، ويقال: ما يلفظ بشيء إلا حفظ عليه. ولفظ نفسه: مات، كما يقال: قاء نفسه. وفلان لافظ فائظ.... والبحر يلفظ بالشيء إلى الساحل. والدنيا لافظة بالناس إلى الآخرة، والأرض تلفظ الموتى"[2].

ويستفاد من القولين أن اللفظ هو كل ما يلفظُ أي يُطرح أو يُرمى، وقد سمي القول لفظا لأنه ملفوظ أي مطروح من الفم.

---

[1] العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، ج8، ص: 161.

[2] أساس البلاغة: جار الله الزمخشري، تحق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص: 174.

واللفظ اسم جنس جمعي[1]، واحده "لفظة".

واللفظة القرآنية هي الكلمة أو المفردة التي تتكون منها العبارة القرآنية.

وقد أسهمت معاجم اللغة المنهجية في بيان المعاني المحتملة للمفردة القرآنية، وأوردت أقوال أهل اللغة في ذلك. ومن المعروف أن عملية الجمع المنظّم لمفردات اللغة وترتيبها في مصنفات معجمية أفادت الدراسات القرآنية إفادة واسعة؛ من حيث إنها قدّمَتْ فيضاً من الشواهد والأقوال واللغات التي تدور حول المفردة القرآنية، ولا تخلو هذه المعاجم ولاسيما المطولة منها من تفسير غريب القرآن، وضبط ألفاظه، وبيان لهجات العرب المختلفة.

ومن هذه المعاجم "تهذيب اللغة" للأزهري، و"لسان العرب" لابن منظور، و"تاج العروس" للزبيدي. ومن أمثلة الصلة الوثيقة بين هذه المعاجم وتفسير كتاب الله أن صاحب "اللسان" في مادة "يأس" تعرضَّ لاختلاف أهل اللغة في معاني اليأس وهل يكون بمعنى العلم؟ وأشار إلى اختلاف المفسرين في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]، وما ينجم عنه في توجيه الآية، وسَمَّى طائفة من القبائل العربية التي تستعمل اليأس بمعنى العلم، وعرض شواهد من الشعر العربي الفصيح التي تدعم هذا الاستعمال[3].

---

[1] اسم الجنس الجمعي هو كل ما يتميز عن مفرده بأمرين: التاء: مثل: تمر تمرة، نحل نحلة، نخل نخلة... أو ياء النسبة مثل: عرب عربي، قبط قبطي، يهود يهودي.

جاء في المزهر: " كل اسم جنس جمعى فإن واحده بالتاء وجمعه بدونها كسدَر وسِدْرة...". ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص: 101.

[2] سورة الرعد: الآية: 13.

[3] ينظر تفصيل ذلك في: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد بن محمد الخراط، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت، ص: 19.

ثانيا: تعريف العبارة:

بحثنا في معاجم اللغة العربية المعروفة، ولم نعثر على مصطلح "العبارة" بمفهومها الحديث، الذي يقصَد به الكلام أو جملة من الكلمات التي تفيد معنى واحدا أو أكثر، ولكننا وجدنا تعريفا واحدا للعبارة في المعجم الوسيط، وهو من المعاجم الحديثة أعده مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وعلى الرغم من ذلك يمكن أن نأخذ بعض التعاريف من الجذر اللغوي "عبر"، ونحاول أن نربطه بهذا المفهوم، فقد ذكر الخليل في العين: "عَبَّرَ يُعبِّر الرؤيا تَعبيراً. وعَبَرَها يَعْبُرُها عَبْراً وعِبارة"[1]. وفي المحكم: "عَبَرَ الرُّؤْيَا يَعْبُرُها عَبْراً وعِبارَةً. وعَبَّرها: فَسرهَا وَأخْبر بآخر مَا يؤول إِلَيْهِ أمرهَا. وَفِي التَّنْزِيل: (إِنْ كُنْتمْ للرُّؤْيا تَعْبرُونَ) أَي إِن كُنْتُم تَعْبرُون الرُّؤْيَا فعدَّاها بِاللَّامِ"[2].

من خلال هذين القولين يظهر لنا أن العبارة في اللغة تطلق على تعبير الرؤيا بمعنى تفسيرها، ويمكن أن يكون مفهوم العبارة المتداول (بمعنى الجملة) مجازا من ذلك؛ لأن بالعبارة تفسَّرُ الكلمات والمفردات التي لا يمكن أن تفيد معنى سوى إذا تركبت في عبارات وجمل.

فكلمة "جنى" تفيد عدة معان في نفسها، ولكنها إذا التئمت في جمل أو عبارات فإنها تُصقَل بالمعنى المراد من السياق المحدد، فعند قولك: جنى التفاحَ الفلاحُ، فالكلمة هنا فعل، وإن قلت: "جنى فتاةٌ مهذبة"، فالمعنى حينئذ اسم علمٍ، أما إذا تأملت الآية الكريمة﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾[3]، فإنك تعلم أن المعنى المراد من الآية هو ثمار الجنتين، وهو اسم.

---

[1] العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج2، ص: 129.

[2] المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن بن سيده، تحق: عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج2، ص: 130.

[3] سورة الرحمن: الآية: 54.

وذكر صاحب اللسان أنَّ: " العبارة والعَبارة. وعَبّر عَنْ فُلَانٍ: تكلّمَ عَنْهُ، وَاللِّسَانُ يُعَبّر عَمَّا فِي الضَّمِيرِ. وعَبَرَ بِفُلَانٍ الماءَ وعَبَّرَهُ بِهِ"[1]. ويقول الزبيدي: "والعِبَارَةُ، بالكَسْر: الكَلامُ العَابِرُ من لِسَانِ المتكَلّم إلى سَمْعِ السّامع."[2].

يمكن لنا أن نؤول تسمية العبارة (بمعنى الجملة)، على اعتبار أنها كل ما يعبر، أي يخرج من لسان المتكلم فيعبر به عن المعنى المقصود. فإن قال قائل إن الكلمة أو المفردة أيضا تخرج من الفم، ويمكن أن نطلق عليها لفظ: "العبارة"، رُدَّ عليه بأن الكلمة الواحدة ولو خرجت من الفم فإنها لا تفيد معنى؛ إذ شرط الإفادة التركيب، وأقل ما يمكن أن يفيد في العربية كلمتان على الأقل، وتسمى في اللغة: الكلام، وهو "القَوْل الْمُفِيد بِالْقَصْدِ وَالْمُرَاد بالفيد مَا دلّ على معنى يحسن السُّكُوت عَلَيْهِ"[3].

بالعودة إلى "المعجم الوسيط "فإننا نجده يذكر أن: "الْعبارَة" [هِي] الْكَلَام الَّذِي يبين بِهِ مَا فِي النَّفس من معَان. يُقَال هَذَا الْكَلَام عبارَة عَن كَذَا مَعْنَاهُ كَذَا"[4].

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، ج4، ص: 530.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الزبيدي، مرجع سابق، ج12، ص: 512.

[3] يمكن الرجوع إلى كتب النحو واللغة المعروفة: باب الفرق بين الجملة والكلام، ينظر على سبيل المثال: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط6، 1985، ص: 490. وكذلك همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط، د.ت، ج1، ص: 56.

[4] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ج2، ص: 580.

- الفرق بين الكلمة والعبارة:

جاء في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ما نصه: " الفرق بين الكلمة والعبارة: أن الكلمة الواحدة من جملة الكلام ثم سميت القصيدة كلمة لأنها واحدة من جملة القصائد.

والعبارة عن الشيء هي الخبر عنه بما هو عليه من غير زيادة ولا نقصان ألا ترى أنه لو سئل عن الجسم فقيل هو الطويل العريض العميق المانع لم يكن ذلك عبارة عن الجسم لزيادة المانع في صفته ولو قيل هو الطويل العريض لم يكن ذلك عبارة عنه أيضا لنقصان العمق من حدةٍ.

ويقال فلان يعبر عن فلان إذا كان يؤدي معاني كلامه على وجهها من غير زيادة فيها ولا نقصان منها وإذا زاد فيها أو نقص منها لم يكن معبرا عنه.

وقيل العبارة من قولك عبرت الدنانير وإنما يعبر ليعرف مقدار وزنها فيرتفع الأشكال في صفتها بالزيادة والنقصان. وسميت العبارة عبارة لأنها تعبر المعنى إلى المخاطب"[1].

ومعلوم أن العبارة أشمل من المفردة أو اللفظة، ولكن قد تحمل الكلمة معنى العبارة إذا كانت في سياق يقتضي ذلك، كأن تكون جوابا عن سؤال مثلا، فحين تقول: خالد، ويكون هذا جوابا عن سؤال أحدهم: من جاء؟، فإن كلمة "خالد" تعد عبارة؛ لأنها أفادت معنى تاما يحسن السكوت عليه.

أما إذا جاءت كلمة "خالد" معزولة عن سياق لغوي، أي أن تكون وحدها من دون قرينة معنوية سياقية فإنها تصبح حينئذٍ كلمة لا عبارة.

فالحكم إذن في الفصل فيهما هو إفادة معنى تام كما أشرنا إلى ذلك عند تعريف العبارة[2].

---

[1] الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحق: بيت الله بيات، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ، ص: 457.

[2] ينظر قول السيوطي في الصفحة السابقة من هذه المطبوعة.